خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم
مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ
أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ
فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ
لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٥٧
ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا
عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ
سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

معانى الكلمات :

خاشعة : ذليلة منكسرة .

ترهقهم ذلة : يغشاهم ذل وخسران .

سنستدرجهم : سنريهم من العذاب حتى نوقعهم فيه .

مغرم : غرامة ذلك الأجر .

مكظوم : مملوء غيظا .

يزلقونك : يهلكونك بأعينهم .

صرصر عاتية : شديدة قارسة .

أعجاز نخل خاوية : جذوع نخل بلا رؤوس .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نتعرف على سنة الحرب بين الله وأعدائه والمخدوعين .

٢ - أن نعلم أن مشقة الدعوة الحقيقية هى مشقة الصبر لحكم الله .

٣ -- أن نعلم حال المكذبين وما نالهم من الهول .

المحتوى التربوى :

يكمل السياق رسم هيئة هؤلاء المتكبرين المتبجحين ، والأبصار الخاشعة والذلة المرهقة هما المقابلان للهامات الشامخة والكبرياء المنفوخة ، وبينما هم فى هذا الموقف المرهق الذليل ، يذكرهم بما جرهم إليه من إعراض واستكبار، وامتنعوا عن السجود فى الدنيا وهم قادرون ، فكانوا يأبون ويستكبرون .. فهم الآن فى ذلك المشهد المرهق الذليل والدنيا وراءهم وهم الان يدعون إلى السجود فلا يستطيعون !

وبينما هم فى هذا الكرب ، يجيئهم التهديد الرعيب الذى يهد القلوب ، وهو تهديد مزلزل والجبار القهار القوى المتين يقول للرسول ﷺ : خل بينى وبين من يكذب بهذا الحديث ، وذرنى لحربه فأنا به كفيل ، ومن هو هذا الذى يكذب بهذا الحديث ؟ إنه ذلك المخلوق الصغير الهزيل

المسكين الضعيف ، هذه النملة المضعوفة ، بل هذه الهباءة المنثورة ، بل هذا العدم الذى لا يغنى شيئا أمام جبروت الجبار القهار العظيم ، فيا محمد ، خل بينى وبين هذا المخلوق ، واسترح أنت ومن معك من المؤمنين ، فالحرب معى لا معك ولا مع المؤمنين ، الحرب معى وهذا المخلوق عدوى ، وأنا سأتولى أمره فدعه لى ، وذرنى معه ، واذهب أنت ومن معك فاستريحوا .

ثم يكشف لهم الجبار القهار عن خطة الحرب مع هذا المخلوق الهزيل الصغير الضعيف ، وإن شأن المكذبين وأهل الأرض أجمعين لأهون وأصغر من أن يدبر الله لهم هذه التدابير ، ولكنه سبحانه يحذرهم نفسه ليدركوا أنفسهم قبل فوات الأوان ، وليس أكبر من التحذير وكشف الاستدراج والتدبير عدلا ولا رحمة ، والله سبحانه يقدم لأعدائه وأعداء دينه ورسوله عدله ورحمته فى هذا التحذير وذلك النذير ، وهم بعد ذلك وما يختارون لأنفسهم ، إنه سبحانه يمهل ولا يهمل ، ويملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .

وفى ظل مشهد القيامة المكروب وظل هذا التهديد المرهوب يكمل الجدل والتحدى ويخاطب الرسول ﷺ فى تعجيب من موقفهم : أتسألهم أجراً على ما أتيتهم به من النصيحة ، ودعوتهم إليه من الحق ، فهم من ثقل ذلك أداء ذلك الأجر مثقلون ، فتحاموا لذلك قبول نصيحتك ، وتجنبوا الدخول فيما دعوتهم إليه، أم يعلمون الغيب فهم يكتبون منا ما يحكمون به، فيجادلونك بما فيه، وإذا كان هذا ولا ذاك فما لهم يقفون هذا الموقف الغريب المريب ؟ !

بهذا يخلى الله النبى ﷺ والمؤمنين من المعركة بين الإيمان والكفر وبين الحق والباطل ، فهى معركته سبحانه وهى حربه التى يتولاها بذاته ، وهى حقيقة تسكب الطمأنينة فى قلب المؤمن فى حالتى قوته وضعفه على السواء ما دام يخلص قلبه لله ويتوكل فى جهاده على الله ، كما أنها حقيقة تفزع قلب العدو ، سواء كان المؤمن أمامه فى حالة ضعف أم فى حالة قوة ، فليس المؤمن هو الذى ينازله ، إنما هو الله الذى يتولى المعركة بقوته وجبروته .

وأمام هذه الحقيقة يوجه الله نبيه ﷺ إلى الصبر ، الصبر على تكاليف الرسالة ، والصبر على التواءات النفوس ، والصبر على الأذى والتكذيب ، الصبر حتى يحكم الله فى الوقت المقدر كما يريد،ويذكره بتجربة أخ له من قبل ضاق صدره بهذه التكاليف وهو يونس ﷺ صاحب الحوت، فلولا أن تداركته نعمة الله لنبذ وهو مذموم ، مذموم من ربه على فعلته وقلة صبره ، وتصرفه فى شأن نفسه قبل أن يأذن الله له ، وقبل الله تسبيحه واعترافه وندمه ، وعلم منه ما يستحق عليه النعمة والاجتباء ، وجعله من الصالحين لمقام النبوة والرسالة ، ومشقة الدعوة الحقيقة هى مشقة الصبر لحكم الله حتى يأتى موعده ، فى الوقت الذى يريده بحكمته .

وفى الختام يرسم مشهد الكافرين وهم يتلقون الدعوة من الرسول الكريم فى غيظ عنيف ، وحسد عميق ينسكب فى نظرات مسمومة قاتلة يوجهونها إليه، ويصفها القرآن بما لا مزيد عليه،

فهم من شدة تحديقهم ونظرهم بعيون العداوة والبغضاء ، يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك ، وبين تعالى أن هذا النظر كان يشتد منهم فى حال قراءة النبى ﷺ للقرآن ، ويؤذونه بألسنتهم ، ويقولون : إنه لمجنون لمجيئه بالقرآن ، والله يعقب بأنه ذكر ، والذكر لا يقوله مجنون ، ولا يحمله مجنون ، وصدق الله وكذب المفترون .

سورة الحاقة

هذه السورة بجملتها تلقى فى الحس بكل قوة وعمق إحساسا واحدا بمعنى واحد وهو أن هذا الأمر ، أمر الدين والعقيدة جد خالص حازم جازم ، جد كله لا هزل فيه ، ولا مجال فيه للهزل ، جد فى الدنيا وجد فى الآخرة ، وجد فى ميزان الله وحسابه ، والقيامة ومشاهدها وأحداثها تشغل معظم هذه السورة ، ومن ثم تبدأ هذه السورة باسمها ، وتسمى به ، وهم اسم مختار بجرسه ومعناه، فالحاقة هى التى تحق فتقع ، أو تحق فتنزل بحكمها على الناس ، أو تحق فيكون فيها الحق ، ثم يزيد هذا الاستهوال والاستعظام والتجهيل ، ، وإخراج المسألة عن حدود العلم والإدراك ، فأمر الحاقة أعظم من أن يحيط به العلم والإدراك .

ويبدأ الحديث عن المكذبين ، وما نالهم من الهول ، فقد كذبت بالقارعة وهو اسم جديد للحاقة ـ ثمود وعاد فلننظر كيف كانت عاقبة التكذيب ؛ فثمود قد أسكتتهم الصيحة ، وأسكتتهم الزلزلة ، وأما عاد فيفصل فى أمر نكبتها ويطيل ، فقد استمرت وقعتها سبع ليال وثمانية أيام حسوما على حين كانت وقعة ثمود خاطفة ، صيحة واحدة طاغية ، والريح الصرصر الشديد الباردة ، واللفظ ذاته فيه صرصرة عاتية لتناسب عتو عاد وجبروتها المحكى فى القرآن ، وكانوا أشداء بطاشين جبارين .

والتعبير يرسم مشهد العاصفة المزجرة المدمرة المستمرة هذه الفترة الطويلة المحددة بالدقة سبع ليال وثمانية أيام ، ثم يعرض المشهد بعدها شاخصا ، والمنظر معروض تراه ، والتعبير يلمح به على الحس حتى يتملاه ، فهم مصروعون مجدلون متناثرون كأنهم قوائم نخل إذا خرت بلا أغصان ، فهل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم ؟ بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلقا .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ وجوب التمسك بالحق ، وعدم المساومة عليه .

٢ ـ لا يجوز أن ننخدع بإمهال الله للظالمين ،أو إعطائهم النعم استدراجا لهم ليقعوا فى العذاب الأليم .

٣ ـ يجب أن نتعظ بما حدث للسابقين ، حتى لا يصيبنا ما أصابهم من هلاك فى الدنيا وعذاب يوم القيامة .

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ
﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ
نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ
﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ
﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ
حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾
قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ
الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ
﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ
عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ
صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ
كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

معانى الكلمات :

رابية : زائدة فى الشدة .

تعيها : لتحفظها .

فدكتا : فدقتا وكسرتا أو فسويتا .

انشقت : تصدعت من الهول .

واهية : ضعيفة متداعية .

سلطانيه : حجتى أو تسلطى وقوتى .

صلوه : أدخلوه أو أحرقوه .

فاسلكوه : فأدخلوه فيها .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم كيفية الانقلاب الكونى لنهاية الحياة الأولى وبداية الحياة الثانية .

٢ ـ أن نعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة .

٣ ـ أن نعلم أن المال الذى باع المفلسون به الأمة والملة لا يغنى يوم القيامة عن صاحبه شيئا .

المحتوى التربوى :

يمضي السياق فى ذكر المكذبين ، وفى آيتين يجمل وقائع شتى ففرعون كان فى مصر ـ وهو فرعون موسى ـ ومن قبله لايذكر عنهم تفصيل ، والمؤتفكات قرى لوط المدمرة التى اتبعت الإفك أو التى انقلبت ، ويجمل السياق فعال هؤلاء جميعا ، فيقول عنهم إنهم جاؤوا بالفعلة الخاطئة ، وهم عصوا رسلا متعددين ولكن حقيقتهم واحدة ورسالتهم فى صميمها واحدة ، فهم إذن رسول واحد ، يمثل حقيقة واحدة ، وفى إجمال يذكر مصيرهم فى تعبير يلقى الهول والحسم حسب جو السورة ، فأخذهم أخذة شديدة مهلكة .

ثم يرسم مشهد الطوفان والسفينة الجارية،مشيراً بهذا المشهد إلى مصرع قوم نوح حين كذبوا، وممتنا على البشر بنجاة أصولهم التى انبثقوا منها ، ثم لم يشكروا ولم يعتبروا بتلك الآية الكبرى ، ومشهد طغيان الماء ومشهد الجارية على الماء الطاغى يلمس القلوب الخامدة والآذان البليدة التى

تكذب بعد كل ما سبق من النذر وكل ما سبق من المصائر ، وكل ما سبق من الآيات ، وكل ما سبق من العظات ، وكل ما سبق من آلاء الله ونعمه على أصول هؤلاء الغافلين ، والهول فى هذه المصارع ـ على ضخامتها ـ محدود إذا قيس إلى هول القارعة المطلق من المحدود المدخر لذلك اليوم المشهود ، وهنا يكشف عن الهول كأنه التكملة المدخرة للمشاهد الأولى .

ونحن نؤمن أن هناك نفخة فى الصور وهو البوق تحدث بعدها هذه الأحداث ، ولانزيد فى تفصيلها شيئا ؛ لأنها غيب ، ليس عندنا من دلائله إلا مثل هذه النصوص المجملة ، وليس لنا مصدر آخر لتفصيل هذا الإجمال ، ومشهد حمل الأرض والجبال ونفضها ودكها دكة واحدة تسوى عاليها بسافلها مشهد مروع حقا ، هذه الأرض التى يجوس الإنسان خلالها آمناً مطمئنا ، وهى تحية مستقرة مطمئنة ، وهذه الجبال الراسية الوطيدة الراسخة التى تهول الإنسان بروعتها واستقرارها ، هذه مع هذه تحمل فتدك كالكرة فى يد الوليد .. ، إنه مشهد يشعر معه الإنسان بضآلته وضآلة عالمه إلى جانب هذه القدرة القادرة فى ذلك اليوم العظيم ، فإذا وقع هذا فقد قامت القيامة والواقعة اسم من أسمائها كالحاقة والقارعة . ولا يقتصر الهول على حمل الأرض والجبال ودكها دكة واحدة ، فالسماء فى هذا اليوم الهائل ليست بناحية ، والأحداث الكونية فى ذلك اليوم العظيم كلها تشير إلى انفراط عقد هذا الكون المنظور ، واختلال روابطه وضوابطه التى تمسك به فى هذا النظام البديع الدقيق ، وتناثر أجزائه بعد انفلاتها من قيد الناموس .

ثم يغمر الجلال المشهد ويغشيه ، وتسكن الضجة التى تملأ الحس من النفخة والدكة والتشقق والانتثار ، يسكن هذا كله ويظهر فى المشهد عرش الواحد القهار ، والملائكة على أرجاء هذه السماء المنشقة وأطرافها ، والعرش فوقهم يحمله ثمانية ، أو ثمانية صفوف منهم ، أو ثمانى طبقات من طبقاتهم ، أو ثمانية مما يعلم الله ، لا ندرى نحن من هم ولا ما هم ، كما لا ندرى نحن ما العرش ؟ ولا كيف يحمل ؟ ونخلص من كل هذه الغيبيات إلى الظل الجليل الذى تخلقه على الموقف ، وهو المطلوب منا أن تستشعره ضمائرنا ، وهو المقصود من ذكر هذه الأحداث ليشعر القلب البشرى بالجلال والرهبة والخشوع فى ذلك اليوم العظيم .

وفى ذلك الموقف الجليل ، الكل مكشوف ، مكشوف الجسد ، مكشوف الضمير ، مكشوف العمل ، مكشوف المصير ، وتسقط جميع الأستار التى كانت تحجب الأسرار ، ويتجرد الإنسان من حيطته ومن مكره ومن تدبيره ومن شعوره ، ويفتضح منه ما كان حريصا على أن يستره حتى عن نفسه ، وما أقسى الفضيحة على الملأ ،و ما أخزاها على عيون الجموع ، أما عين الله فكل خافية مكشوفة لها فى آن ، ولكن لعل الإنسان لا يشعر بهذا حق الشعور وهو مخدوع بستور الأرض .

يقول صاحب الظلال : « ألا إنه لأمر عصيب ، أعصب من دك الأرض والجبال وأشد من تشقق السماء ، وقوف الإنسان عريان الجسد ، عريان النفس ، عريان المشاعر ، عريان التاريخ ، عريان العمل ما ظهر منه وما استتر ، أمام تلك الحشود الهائلة من خلق الله من الإنس والجن والملائكة ، وتحت جلال الله وعرشه المرفوع فوق الجميع » .

وبعدئذ يعرض مشهد الناجين والمعذبين ، كأنه حاضر تراه العيون ، فيعرض السياق مشهد الناجى فى ذلك اليوم العصيب ، وهو منطلق فى فرحة غامرة بين الجموع الحاشدة ، وهو فى هتاف اقرؤوا كتابيه ، فلم يكن يصدق أنه ناج ، بل كان يتوقع أن يناقش الحساب ، ثم يكون الإعلان على رؤوس الأشهاد ما أعد لهذا الناجى من النعيم ، فهو فى عيشة مرضية،فى جنة عالية، رفيعة قصورها ، حسان حورها ، نعيم دورها ، دائم حبورها ، ثمارها قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره ، ويقال لهم : كلوا واشربوا وتمتعوا بما عملتم فى الأيام الماضية فى الدنيا ، تفضلا وامتنانا وإنعاما وإحسانا من الله تعالى .

أما المعذب الذى عرف أنه مؤاخذ بسيئاته ، وأن إلى العذاب مصيره ، فيقف فى هذا المعرض الحافل الحاشد ، وقفة المتحسر الكسير الكئيب ، والسياق يطيل عرض هذه الوقفة حتى ليخيل إلى السامع أنها لا تنتهى إلى نهاية ، ويتمنى ذلك البائس أنه لم يأت هذا الموقف ، ولم يؤت كتابه ، ولم يدر ما حسابه ، كما يتمنى أن لو كانت هذه القارعة هى القاضية التى تنهى وجوده أصلا فلا يعود بعدها شيئا ، ثم يتحسر أن لا شىء نافعه مما كان يعتز به أو يجمعه ، فلا المال أغنى أو نفع ، ولا السلطان بقى أو دفع .

ويأتى الأمر العلوى الجازم بجلاله وهوله وروعته بأن يأخذوه ﴿ خُذُوهُ ﴾ كلمة تصدر من العلى الأعلى فيتحرك الوجود كله على هذا المسكين الصغير الهزيل ، ويبتدره المكلفون بالأمر من كل جانب ، كلهم يبتدر هذه الحشرة الصغيرة المكروبة المذهولة ، فأى السبعين ألفا بلغه جعل الغل فى عنقه ، ويصلى الجحيم ونكاد نسمع كيف تشويه النار وتصليه ، وذراع واحدة من سلاسل النار تكفيه، الأمر يأتى بسبعين ذراعا بذراع الملك، تدخل فى استه ثم تخرج من فيه ، ثم ينظمون كما ينظم الجراد فى العود حين يشوى .

فإذا انتهى الأمر نشرت أسبابه على الحشود: إنه قد خلا قلبه من الإيمان بالله، والرحمة بالعباد، فلم يعد هذا القلب يصلح إلا لهذه النار وذلك العذاب ، خلا قلبه من الإيمان بالله فهو موات وهو خرب ، وخلا قلبه من الرحمة بالعباد ، والمسكين هو أحوج العباد إلى الرحمة ، ولكن هذا لم يستشعر قلبه ما يدعو إلى الاحتفال بأمر المسكين ، ولم يحض على طعامه ، وهى خطوة وراء إطعامه ، توحى بأن هناك واجبا اجتماعيا يتحاض عليه المؤمنون .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ لابد من الاستعداد لليوم الآخر بالإيمان والعمل الصالح حيث يفرح المؤمنون بالثواب العظيم .

٢ ـ إن لله ملائكة ينفذون أمره يجب الإيمان بهم .

٣ ـ عناية الإسلام بإطعام الفقراء ، ومساعدة الضعفاء ، وتحريض الناس على ذلك مما يؤدى إلى تماسك الأمة .

الجزء التاسع والعشرون — سورة الحاقة

فليس له اليوم ههنا حميم (٣٥) ولا طعام إلا من غسلين (٣٦) لا يأكله
إلا الخاطئون (٣٧) فلا أقسم بما تبصرون (٣٨) وما لا تبصرون (٣٩)
إنه لقول رسول كريم (٤٠) وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون (٤١)
ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون (٤٢) تنزيل من رب العالمين (٤٣) ولو
تقول علينا بعض الأقاويل (٤٤) لأخذنا منه باليمين (٤٥) ثم لقطعنا
منه الوتين (٤٦) فما منكم من أحد عنه حاجزين (٤٧) وإنه لتذكرة
للمتقين (٤٨) وإنا لنعلم أن منكم مكذبين (٤٩) وإنه لحسرة على
الكافرين (٥٠) وإنه لحق اليقين (٥١) فسبح باسم ربك العظيم (٥٢)

سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل سائل بعذاب واقع (١) للكافرين ليس له دافع (٢) من
الله ذي المعارج (٣) تعرج الملائكة والروح إليه في
يوم كان مقداره خمسين ألف سنة (٤) فاصبر صبرا جميلا (٥)
إنهم يرونه بعيدا (٦) ونراه قريبا (٧) يوم تكون السماء كالمهل
(٨) وتكون الجبال كالعهن (٩) ولا يسأل حميم حميما (١٠)

٥٦٨

معانى الكلمات

يحض : يحث ويحرض .

حميم: قريب مشفق لشدة الهول والعذاب .

غسلين : صديد أهل النار .

تقوّل : اختلق وافترى علينا .

الوتين : نياط القلب .

حاجزين : مانعين الهلاك عنه .

كالمهل : كالمعدن المذاب أو دردى الزيت .

كالعهن : كالصوف المصبوغ ألوانا .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أن العقيدة هى الجد الذى لا هوادة فيه ، ولا تحتمل تسامحا ولا مجاملة لأحد كائنا من كان .

٢ ـ أن نعلم أن القرآن عميق فى الحق ، عميق فى اليقين ، ويكشف عن الحق الخالص فى كل آية .

٣ ـ أن نستشعر الرهبة من أهوال يوم القيامة .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق فيذكر تكملة الإعلان العلوى عن مصير ذلك الشقى ، فلقد كان لا يؤمن بالله العظيم ، وكان لا يحض على طعام المسكين ، فهو هنا مقطوع فليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله ، لا حميم ـ وهى القريب ولا شفيع يطاع ، وهو ممنوع فلا طعام له هاهنا إلا من غسلين ، وهو غسالة أهل جهنم من قيح وصديد ، وهذا طعام لا يأكله إلا المذنبون المتصفون بالخطيئة ، وهو منهم فى الصميم .

يقول صاحب **الظلال** : « وبعد ، فذلك هو الذى يجعله الله مستحقا للأخذ والغل والتصلية والسلسلة التى ذرعها سبعون ذراعا الجحيم ، وهو أشد دركات جهنم عذابا ، فكيف بمن يمنع

طعام المسكين ، ومن يجيع الأطفال والنساء والشيوخ ، ومن يبطش بطشة الجبارين بمن يمد إليهم يده باللقمة والكساء فى برد الشتاء ؟ أين ترى يذهب هؤلاء ، وهم يوجدون فى الأرض بين الحين والحين ؟ وما الذى أعده الله لهم وقد أعد لمن لا يحض على طعام المسكين ، ذلك العذاب فى الجحيم ؟ » .

وفى ظل هذه المشاهد العميقة الأثر فى المشاعر يجىء التقرير الحاسم الجازم عن حقيقة هذا القول الذى جاءهم به الرسول الكريم ، فتلقوه بالشك والسخرية والتكذيب ، والأمر لا يحتاج إلى قسم أنه حق ، صادر عن الحق ، وليس شعر شاعر ، ولا كهانة كاهن ، ولا افتراء مفتر لا فما هو بحاجة إلى توكيد بيمين ، والوجود أضخم بكثير مما يرى البشر بل مما يدركون ، وما يبصر البشر من الكون، وما يدركون إلا أطرافا قليلة محصورة، فلا يعيش الإنسان سجين ما تراه عيناه، ولا أسير ما يدركه وعيه المحدود ، فهناك وراء ما تدركه عينه ووعيه عوالم وحقائق أكبر ـ بما لا يقاس ـ بما وصل إليه ، عندئذ يتسامى على ذاته ويرتفع على نفسه ، فالذين يحصرون أنفسهم فى حدود ما ترى العين، ويدرك الوعى ، بأدواته الميسرة له .. مساكين ! سجناء حسهم وإدراكهم المحدود ، محصورون فى عالم ضيق على سعته ، صغير يقاس إلى ذلك الملك الكبير .

وتقرير أنه قول رسول كريم لا يعنى أنه من إنشائه ، ولكن المراد هنا أنه قول من نوع آخر لا يقوله شاعر ، ولا يقول كاهن ، إنما يقوله رسول يرسل به من عند الله ، فيحمله من هناك من ذلك المصدر الذى أرسله ، والتعقيب فى الآيات مدلوله نفى الإيمان ، ونفى التذكر ، فما يقول مؤمن عن الرسول : إنه شاعر ، ولا يقول متذكر متدبر ، إنه كاهن ، إنما هما الكفر والغفلة ينضحان بهذا القول النكير .

وفى النهاية يجىء التهديد الرعيب لمن يفترى على الله فى شأن العقيدة وهى الجد الذى لا هوادة فيه ، يجىء لتقرير الاحتمال الواحد الذى لا احتمال غيره وهو صدق الرسول ﷺ وأمانته فيما أبلغه إليهم أو يبلغه ، بشهادة أن الله لم يأخذه أخذا شديداً كما هو الشأن لو انحرف أقل انحراف عن أمانة التبليغ ، فلو تقول بعض الأقاويل التى لم يوح بها إليه ، لأخذها الله فقتله بتقطيع نياط القلب ، وما يقدر أحد على أن يحجز بينه وبين الله إذا أراد به شيئا من ذلك ، وتجىء الخاتمة بحقيقة الأمر ، فهذا القرآن يذكر القلوب النقية فتذكر ، ولا يؤثر فى حقيقة هذا الأمر أن يوجد منكم مكذبون ، وإن هذا القرآن لندامة على الكافرين بما يرفع من شأن المؤمنين ، ويحط من قدر المكذبين ، وبما ينتهى إليه من إقرار الحق وإزهاق الباطل ، ثم أنه حجة عليهم عند الله فى اليوم الآخر ، وإن هذا القرآن هو الحق الذى لا مرية فيه ، فهو حق اليقين وليس مجرد اليقين ، ويجىء التلقين العلوى بالتسبيح بما فيه من تنزيه وتمجيد ، وبما فيه من عبودية وخشوع .

سورة المعارج

كانت حقيقة الآخرة من الحقائق العسيرة الإدراك عند مشركى العرب ، ولقد لقيت منهم معارضة نفسية عميقة، وكانوا ينكرونها أشد الإنكار ، ويتحدون الرسول ﷺ فى صور شتى أن